تأصيل التسامح الفكري في السنة النبوية وتطبيقاته الرشيدة

إعداد الأستاذ الدكتور

عبد العزيز شاكر حمدان الكبيسي

أستاذ الحديث وعلومه والثقافة الإسلامية

جامعة الإمارات العربية المتحدة

تأصيل التسامح الفكري في السنة النبوية وتطبيقاته الرشيدة

عبد العزيز شاكر حمدان الكبيسي.

قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، دولة الإمارات.

البريد الإلكتروني: a.hamdan@uaeu.ac.ae

ملخص البحث:

تمثّل هذه الدراسة محاولة تأصيلية لقضية من أهم قضايا العصر ومسائله، وهي قضية التسامح الفكري في ضوء المصدر التشريعي الثاني في الإسلام: السنة النبوية، وبيان الآليات التي تعكس رؤية السنة لهذا النوع من التسامح، والكشف عن الأسس التي أرست قواعدها لتأسيس التسامح الفكري وتعزيزه، وتطبيقاته الرشيدة في واقع الأمة المسلمة، وصنيع علمائها ومجتهديها في ضوء ما أُثر عنهم، ومواقفهم الفكرية. لقد حرصت السنة النبوية المشرّفة أيما حرص على الدعوة إلى التسامح، والتحلي به، والعمل على إشاعته في المجتمع الإسلامي، والتأكيد على ضرورة تحقيقه في حياة الأمة، كما أعلنت الحرب على من يعطّله، أو يغيّبه في سلوكياته وممارساته العلمية والعملية. وقد اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي والاستنباطي من خلال تحليل المحتوى القائم على الاستدلال بالأحاديث النبوية بهدف بيان المنهج المؤصل لتلك القضية في ضوء ذلك. وقد خلصت إلى أهمية تأصيل مفهوم التسامح الفكري، وإشاعته بين المفكرين في عالمنا المعاصر، وتعزيز ثقافة الحوار والتواصل، ونبذ العنف والإقصاء الفكري، كما كشفت عن التطبيق العملي لمفهوم التسامح الفكري في السنّة النبوية من خلال بعض الوقائع التاريخية التي أوردتها كتب السيرة النبوية، وأنّ الأمة قد تمثلت قيمة التسامح الفكري في تعاملها مع الأفكار والاجتهادات

والآراء من خلال التطبيقات العلمية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجتهديها من الفقهاء وغيرهم. كما أبرزت الحضارة العربية والإسلامية قيم التسامح الفكري في مرحلة الأخذ والعطاء، وترجمة العلوم، خلال حقبة العصر الأموي، والعصور اللاحقة له.

الكلمات المفتاحية: التسامح، الفكري، التأصيل، السنة النبوية.

Establishing Intellectual Tolerance in the Prophetic Tradition and Its Prudent Applications

Abdul Aziz Shaker Hamdan Al-Kebeisi.

Department of Arabic, College of Humanities and Social Sciences, United Arab Emirates University, Al-Ain, UAE

Email: a.hamdan@uaeu.ac.ae

Abstract:

This study represents an attempt to establish one of the most critical issues of our time: intellectual tolerance, as reflected in the second source of Islamic legislation– the Prophetic Tradition (Sunnah). The study aims to outline the mechanisms that demonstrate the Sunnah's vision of this type of tolerance, revealing the foundations it laid to establish and promote intellectual tolerance and its wise applications in the reality of the Muslim community. The study adopts descriptive, analytical, and deductive methods, using content analysis of Prophetic hadiths to highlight a foundational approach to this issue. The study concludes by emphasizing the importance of establishing the concept of intellectual tolerance, spreading it among thinkers in our contemporary world, fostering a culture of dialogue and communication, and rejecting intellectual violence and exclusion. In addition, it reveals the practical application of intellectual tolerance in the Sunnah through historical incidents recorded in the books of the Prophet's biography. The study also emphasizes that during the stages of cultural exchange and translation, particularly in the Umayyad era and subsequent periods, the Arab and Islamic civilization showcased values of intellectual tolerance.

Keywords: tolerance – intellectual – establish ... in the Sunnah – Prophetic tradition

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلقد خلق الله الناس مختلفين في ألوانهم ولغاتهم وأجناسهم، متفاوتين في عقولهم وأفكارهم وإدراكهم، وجعل منهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا ويتكاملوا ويتقاربوا، ولا سبيل إلى ذلك التعارف والتكامل والتقارب إلا بالتعايش والتعاون والتسامح، بعيدًا عن التناكر والتطاحن والاقتتال، ولأجل هذا كان التسامح في المنظور الإسلامي فضيلة أخلاقية، وضرورة مجتمعية، وسلوكًا حضاريًا، ووسيلة مثلى لضبط الاختلاف وإدارة الحوار، به تصفو النفوس، وتتآلف القلوب، وتطيب الصدور، وتُبنى الأوطان، وتُصان المجتمعات من كل كيد يُراد بها، ويتعايش الناس بسلام واطمئنان.

ولذلك كله نجد أن السنة النبوية المشرّفة قد حرصت أيما حرص على الدعوة إلى التسامح، والتحلي به، والعمل على إشاعته في المجتمع الإسلامي، والتأكيد على ضرورة تحقيقه في حياة الأمة، كما أعلنت الحرب على من يعطّله، أو يغيّبه في سلوكياته وممارساته العلمية والعملية.

ولعل أوجز وصف لتلك الدعوة وأكمله يتجلى في قوله صلى الله عليه وسلم: " بعثت بالحنيفية السمحة"(١).

فجمع عليه الصلاة والسلام بين كون رسالته حنيفية وكونها سمحة، فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في السلوك والخُلُق.

وقد أحاطت السنة النبوية المطهرة في دعوتها إلى التسامح بجميع أنواعه وأشكاله، سواء أكان ذلك التسامح دينيًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا أو عرقيًا أو فكريًا.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم ٢٢٣٤٥.

وقد اختصت ورقتي هذه بالحديث عن النوع الأخير من تلك الأنواع والبحث فيه، نظرًا لأهميته في الميادين العلمية، والمحافل الأكاديمية، والأروقة الفكرية، وأثره الكبير في محو جميع المفردات السلبية التي تقوم على إلغاء الآخر، والتعصب للرأي الواحد، وتتبنى عقلية الخصم والإفحام التي تنخر كيان أمتنا الحضاري. ولأن التسامح الفكري والعلمي يشكل حصنًا للأمة من رواسب لغة التعصب والانتصار للذات والنفي والإقصاء والتكفير والتخوين والتفسيق والتبديع التي تمارسها الجماعات المتشددة وضيقو الأفق في عالم اليوم.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الموضوع الذي تتناوله هذه الدراسة في تأصيل التسامح الفكري في ضوء المصدر الثاني للإسلام وتطبيقاته الرشيدة في حياة علماء الأمة على اختلاف خلفياتهم ومواردهم وتوجهاتهم.

مشكلة الدراسة:

تتناول هذه الدراسة قضية التسامح الفكري في ضوء الرؤية النبوية وتطبيقاته الرشيدة في واقع الأمة العلمي، وتحاول الإجابة على الأسئلة الآتية:

ما هي طبيعة التسامح الفكري الذي أصّلته السنة النبوية الشريفة؟ وما هي الآليات التي تعكس رؤية السنة لهذا النوع من التسامح؟

ما هي الأسس التي أرست السنة النبوية قواعدها لتأسيس التسامح الفكري وترسيخه؟ وكيف جسد علماء الأمة تطبيقاته الرشيدة في اجتهاداتهم ومواقفهم الفكرية.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أولا: بيان أهمية التسامح الفكري وضرورته في حياة الأمة.

ثانيًا: الكشف عن طبيعة التسامح الفكري الذي أصلته السنة النبوية المشرفة.

ثالثًا: إبراز واقع التسامح الفكري وآلياته من منظور السنة النبوية المشرفة.

رابعًا: تقديم نماذج من تطبيقات التسامح الفكري الرشيدة في واقع علماء الأمة.

منهجية الدراسة:

سأوظف في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي للوقوف على تأصيل السنة النبوية لذلك النوع من التسامح، ثم المنهج الوصفي التحليلي الذي يتمثل في تحليل المعاني بناءً على التحليل الدلالي للكلمات ذات الصلة ثم المنهج التاريخي الذي يؤرخ لبعض تطبيقات التسامح الفكري في التراث الإسلامي.

خطة الدراسة:

تمهيد في بيان مفهوم التسامح الفكري في الاصطلاح.

المبحث الأول: تأصيل التسامح الفكري في السنة النبوية المشرفة.

المبحث الثاني: نماذج من تطبيقات التسامح الفكري الرشيدة في حياة علماء الأمة وتراثها الحضاري.

ثم خاتمة لبيان أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تمهيد

مفهوم التسامح الفكري في اللغة والاصطلاح

لا بد بادئ ذي بدء من الوقوف على مفهوم التسامح الفكري قبل أن نبحر معًا لتأصيله في رحاب السنة النبوية المطهرة، ونتتبع تطبيقاته الرشيدة في تراثنا الإسلامي.

ويمكن القول إن التسامح الفكري هو: عدم التعصب للأفكار والآراء، واحترام أدب الحوار والتخاطب مع الآخر.

المبحث الأول

تأصيل التسامح الفكري في السنة النبوية المشرّفة

يعد التسامح الفكري قيمة أخلاقية كبرى رسمت السنة النبوية المطهرة معالمها، وأبانت عن قسماتها، وأصّلت لها بأساليب متنوعة وطرق متعددة، تارة بالقول، وتارة بالفعل، وتارة أخرى بالإقرار.

ويتجلى هذا النوع من التسامح في السنة النبوية في أروع صوره من خلال قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر"(١).

وأي دعوة إلى التسامح الفكري أعظم من هذه الدعوة التي تجلت في إخباره صلى الله عليه وسلم بأنّ المجتهد الذي يبذل جهده لإصابة الحق في اجتهاده ولا يبلغه هو مطيع لله تعالى، مستحق للأجر والثواب، ولا يلحقه إثم أو مؤاخذة على الرغم من خطئه في ذلك الاجتهاد.

وإذا كان هذا التسامح والعفو وعدم المؤاخذة في حق المجتهد في الأحكام الشرعية التي يتعبد بها الناس ربهم سبحانه وتعالى، ويوقّع فيه عن ربه في استنباطه واجتهاده، كما وصفه بذلك ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه الموسوم: " إعلام الموقّعين عن رب العالمين" فمن بابٍ أولى أن يكون التسامح في سائر الساحات والمجالات والميادين الأخرى.

فالمجتهد المسؤول من إمام وحاكم وعالم وناظر ومفتٍ وغير ذلك إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع كان هذا هو الذي كلفه الله إياه وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع ولا يعاقبه الله البتة "(٢).

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٧٣٥٢.
(٢) الفتاوى ٢١٧/١٩.

"فالأول له أجران: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة والآخر له أجرُ الاجتهاد فقط"(١).

كما نلحظ اهتمام السنة النبوية بالتسامح الفكري والتقعيد له من خلال دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الى الالتزام بأخلاقيات الحوار وآدابه، وحفظ كرامة المخاطب والتأدب معه وان كان مخالفاً واجتناب الإساءة اللفظية إليه وصيانة الخطاب مما لا يليق، والعدل في الحكم عليه، وترك التنقيب عن الخفايا والمقاصد التي لا يعلمها إلا الله تعالى، وضبط النفس، والتحلي بالحلم والصبر وكظم الغيظ وترك المراء والجدل العقيم الذي لا انتفاع منه ولا خير فيه.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم:

"أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنةِ لمَن تَرَكَ المِراءَ وإن كان مُحِقًّا، وببيتٍ في وسطِ الجنةِ لمَن تركَ الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لمَن حُسُنَ خلقُه"(٢).

فالعدل يقتضي أن يمضي المجادل الذي معه الحق في مجادلته إظهارًا لانتصاره وإبرازًا لرأيه ولكن النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا يحثه على التوقف وعدم الاستمرار في تلك المجادلة تسامحًا وتنازلًا عن ذلك العدل، واعدًا إياه نظير هذا التسامح ببيت في أطراف الجنة وضواحيها، وذلك لما يَتسبَّبُ فيهِ المراءُ من خِلافٍ وشَقٍّ للصفوفِ، وحفاظا على رابطة الأخوة بين المتجادلين، وسلامة قلبهما من الحقد والتحامل والأضغان، وتوفيرًا لوقتهما وعدم تضييعه في جدل عقيم لا خير فيه ولا انتفاع منه.

بل يعلّق النبي صلى الله عليه وسلم اكتمال الإيمان بترك ذلك المراء فيقول:

"لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح، ويترك المراء وإن كان صادقًا"(٣).

---

(١) فتح الباري لابن حجر: ٣١٩/١٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه بإسناد صحيح برقم ٤٢٣٠.

(٣) – أخرجه أحمد في مسنده برقم ٨٦٣٠.

وفي ذلك دعوة إلى التسامح الفكري بين العلماء في كل عصر وزمان ومكان، سدًا للذريعة التي تؤدي إلى الفرقة والشقاق وتمزيق صف الأمة.

كما جسّد النبي صلى الله عليه وسلم التسامح العلمي تجسيدًا رائعًا في حواراته المختلفة حيث كان يبدي لمحاوريه احترامًا كبيرًا ويقبل عليهم بكليته، ويستمع إليهم من غير تأفف أو تبرم، مخاطبا إياهم بأحب الأسماء الى قلوبهم، ثم يتركهم لنفوسهم، لعلها تستعيد ما سمعت من الحق فتستجيب له عن قريب أو بعيد(١).

وقد حفلت كتب السيرة النبوية بنماذج كثيرة لذلك الصنيع النبوي في التعامل مع الآخر، ومن ذلك:

اعتداد النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة الصحابي الجليل الحباب بن المنذر رضي الله عنه، والتحول إلى المكان الذي أشار بالانتقال إليه، إذ تذكر كتب السيرة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم عندما جاء أدنى ماء من بدر نزلَ عليه، فقال له الحباب: " يَا رَسُولَ اللهِ؛ مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَعَدَّاهُ، وَلَا نُقَصِّرُ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ، فَقَالَ الْحُبَابُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، وَلَكِنِ انْهَضْ حَتَّى تَجْعَلَ الْقُلُبَ كُلَّهَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ، ثُمَّ غَوِّرْ كُلَّ قَلِيبٍ بِهَا إِلَّا قَلِيبًا وَاحِدًا، ثُمَّ احْفِرْ عَلَيْهِ حَوْضًا فَنُقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ. فَقَالَ: قَدْ أَشَرْتَ بالرَّأي"(٢).

---

(١) قيمة الحوار وأبعادها الحضارية في السنة النبوية: ٧٥/٢.

(٢) رواية الحباب بن المنذر أخرجها البيهقي في "دلائل النبوة" (٣١/٣) من طريق محمد بن إسحاق به.

وهذه الرواية مرسلة، وإسنادها حسن إلى عروة بن الزبير، والزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر رحمهم الله تعالى. =

كما استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في أمر أسارى بدر، وأخذ برأي أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قبول الفدية منهم، خلافًا لرأي غيره من الصحابة، فلم يشعر أي صحابي بامتعاض من عدم قبول رأيه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

" قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى، قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: ما تَرَوْنَ في هَؤُلَاءِ الأُسَارَى؟ فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: يا نَبِيَّ الله، هُمْ بَنُو العَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ منهمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً علَى الكُفَّارِ؛ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلَامِ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: ما تَرَى يا ابْنَ الخَطَّابِ؟ قُلتُ: لا، وَاللَّهِ يا رَسولَ اللهِ ما أَرَى الَّذي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِن عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِن فُلَانٍ -نَسِيبًا لعُمَرَ- فأضْرِبَ عُنُقَهُ؛ فإنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ ما قالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ ما قُلتُ..."(١).

ولم يقتصر البناء النبوي للتسامح الفكري في حياة الأفراد والتأسيس له على القول والفعل فحسب بل تمثل في إقراراته المختلفة أيضًا، ومن ذلك ما رواه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رجلان في سفر، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء، فتيمما صعيدًا طيبا، فصليا، ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يُعد الآخر، ثم أتيا رسول الله

= وأخرجها الطبري في تاريخه مرسلة (٤٤٠/٢) وأبو داود في المراسيل برقم ٣١٨ مرسلًا أيضًا. كما رويت متصلة أيضا:

فقد أخرجها الحاكم في مستدركه بإسنادٍ واهٍ. كما أوردها ابن كثير في "البداية والنهاية" (٨٢/٥) بسياق ولفظ مغاير وإسنادها واهٍ أيضًا. وخلاصة القول: أن هذه القصة لها أصل مشهور، وأسانيدها المتصلة وإن كانت واهية، لكن طرقها المرسلة ثابتة، فضلًا عن كونها في السير والمغازي، ولا يخفى تساهل المحدّثين في قبول هذا النوع من الأخبار.

(١) – اخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٧٦٣.

فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يُعد: أصبت السنة فأجزأتك صلاتك، وقال للآخر: لك الأجر مرتين"(١).

فقال للأول: أصبت السنة، أي الحق. وقال للآخر: لك الأجر مرتين، أي أجرٌ على الصلاة بالتيمم، وأجرٌ على الصلاة بالوضوء؛ وذلك لاجتهادك ولو لم تُصب السنة.

وفي يوم الأحزاب وقبيل غزوة بني قريظة قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ " فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ"(٢).

فلم يوّبخ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أو يعنّف أحدًا منهما، بل أقرَّ كلا الفريقين في اجتهادهما، لأنهما كانا يقصدان إصابة الحق في ذلك الاجتهاد، كما نلحظ أدب الصحابة رضي الله عنهم في الاختلاف، حيث لم يفسد للود قضيةً عندهم، ولم يفرّق شملهم ووحدتهم، ولم يحملهم على البغض والكره، بل ازداد هذا الحب وترسّخ في النفوس والقلوب.

وفي ذلك كله تدريب وتعليم للأمة على التسامح العلمي والفكري في المسائل المحتملة، وتقبل الرأي الآخر، وعدم الانطواء على الذات، ونبذ التعصب للرأي الواحد.

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم ٣٣٨.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٣٨٣٥.

المبحث الثاني

نماذج من تطبيقات التسامح الفكري الرشيدة

في حياة علماء الأمة وتراثها الحضاري

لقد جسد علماء الأمة ومجتهديها وفقهاؤها في قرونها الفاضلة وما تلتها من أزمان تلك التوجيهات النبوية التي سبق الحديث عنها في الفصل السابق، وترجموها إلى واقع عملي في مسيرتهم العلمية والفكرية، فشاع بينهم:" "**رأيي صحيح يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب**"، و"**الاجتهاد لا يتقض باجتهادٍ مثله**"، و "**لا ينكر على مجتهد قول.**"

وعن ذلك الواقع يقول بعضهم:

"إنَّ السَّلف كانوا يختلفون في المسائل الفرعيَّة، مع بقاء الأُلْفَة والعصمة وإصلاح ذات البين"(١).

وها هو الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول لمناظره يونس الصدفي في إحدى المسائل بعدما افترقا فلقيه ذات يوم وأخذ بيده:

"ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة"(٢).

وورد عنه قوله أيضًا:

" ما كلّمت أحدًا قطُّ إلا أحببت أن يوفّق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما كلمت أحدًا قطُّ إلا ولم أبال بيّن الله الحقّ على لساني أو لسانِه"(٣).

---

(١) الفتاوى الكبرى: ٦: ٩٢.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٠/١٦.

(٣) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي:٢/٤٩.

ويقول ولده أبو عثمان محمد بن الشافعي: "ما سمعت أبي ناظر أحدًا قط فرفع صوته"(١).

وهذا الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة –رحمه الله تعالى– يرفض حمل الناس على كتابه الموطأ الذي أمضى في تصنيفه أربعين عامًا، عندما عرض عليه ذلك الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، ولم يجبه، على الرغم من أن النفس البشرية تهوى هذا الأمر، وتتطلع إليه بحثًا عن الشهرة والصيت والسمعة، إنصافًا منه رحمه الله تعالى لغيره من علماء الأمة في هذا الميدان، وقال يومها مقولته المشهورة: "إنّ الناس قد جمعوا واطّلعوا على أشياء لم نطّلع عليها".(٢)

كما ترجمت أمة الإسلام المنهج النبوي في التسامح الفكري وجسدته في حضارتها الغراء منذ تأسيسها وإلى أن نضجت واكتملت على سوقها، وقد تجلى ذلك التسامح في أخذها من الآخر وعطائها له من خلال حركة الترجمة التي انطلقت في العصر الأموي، وبلغت ذروتها وعصرها الذهبي في العصر العباسي بترجمة كتب الآخر وعلومه وفنونه بغض النظر عن دينه وعرقه وجنسه وقوميته وبقعته الجغرافية، حيث ترجم المسلمون كتب الاغريق واستمدوا منهم بعض العلوم الطبيعية وهم وثنيون عبدوا آلهة شتى، وترجموا كتب الفرس ولا سيما في الأدب وأخذوا منهم وهم يدينون بالمجوسية، ونقلوا عن الهنود واستمدوا منهم الرياضيات والطب والفلك وهم في ديانتهم ما بين هندوس وبوذيين وغير ذلك، ولم يمنعهم ذلك الاختلاف مع الآخر من الأخذ والاستمداد منه في ضوء الهدي الإسلامي الرشيد.

وعندما نضجت حضارتنا الإسلامية، واكتملت معالمها، وذاع صيتها، لم تنطوِ على نفسها وترفض الآخر، بل منحت له عطاءها العلمي، وفتحت بوجهه

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي:٦٦/١.
(٢) انظر اختصار علوم الحديث لابن كثير: ٣١.

الأبواب مشرعةً للنهل من رحيقها والاستمداد من فنونها وعلومها، وأقبل الأوربيون لترجمتها الى اللغة اللاتينية واللغات الأوربية الأخرى؛ لتكون أساسًا لنهضتهم وحضارتهم المعاصرة.

كما يتجلى التسامح الفكري في حضارتنا الإسلامية من خلال انفتاح المسلمين على الآخر ودمجه في عملية البناء الحضاري حيث نجد في أروقتها وميادينها عددًا من اليهود والنصارى الذين كانوا وزراء أو كتّاب أو مترجمين أو مبدعين ومبتكرين.

يقول الطبيب والمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون

"إنّ العرب هم أوّل من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر والتسامح مع استقامة الدين، فقد حاولوا أن يعلّموا العالم التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان، لذا كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيرًا من أخلاق الأمم قاطبة"(١).

إن التجربة التي خاضتها الحضارة الإسلامية في ميدان حوار الحضارات والتسامح الفكري كانت رائدة بكل المقاييس، منطلقة في ذلك من الهدي الإسلامي قرآنا وسنة والذي وضع الأسس المتينة لهذه الحضارة، وحدد لها المنهج، ورسم لها السبيل، ووضع لها المبادئ، وأرشدها إلى أقوم السبل التي تساس بها الشعوب والدول، والتي تنسجم مع الفطرة وتتناغم مع سنن الله في الأنفس والآفاق.

وفي ختام حديثي أقول:

إنّ إشاعة أجواء التسامح الفكري، والقبول بالآخر وجودًا ورأيًا، هو السلاح الفعال في القضاء على ظاهرة التشدد والغلو والعنف والتطرف الذي بات يهدد العالم بأسره، وعلى البشرية الانتقال من فكرة الاختلاف الذي يقتضي العنف

(١) الموقع الالكتروني لوزارة التسامح الإماراتية ، تاريخ الدخول ٧/ ٢٠١٩/١٠.

والإقصاء الى تفعيل مفهوم التسامح بشكل عملي وجعله مشروعا للتعارف والاعتراف.

فالاختلاف ليس سببًا للجفاء والتباعد، والتباين في وجهات النظر لا يلغي الجوامع المشتركة بين بني الإنسان، وتعدد الاجتهادات ليس مدعاة للنبذ والنفي والإقصاء، بل هو في حقيقته يؤسس للانخراط في مشروع التعارف والتكامل.

إن الآخر في الإسلام ليس مشروع حرب، بل هو مشروع تعارف، ودعوة وسلام.

وقد استشعرت دولة الإمارات العربية المتحدة هذه المعاني التي أسلفنا ومزجت الماضي بالحاضر لاستشراف المستقبل فأصدرت قانون مكافحة التمييز والكراهية والذي يقضي بتجريم الأفعال المرتبطة بازدراء الأديان ومقدساتها ومكافحة كافة أشكال التمييز، ونبذ خطاب الكراهية عبر مختلف وسائل وطرق التعبير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

خاتمة

من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ما يأتي:

أولا: أظهر البحث أهمية تأصيل مفهوم التسامح الفكري، وإشاعته بين المفكرين في عالمنا المعاصر، وتعزيز ثقافة الحوار والتواصل، ونبذ العنف والإقصاء الفكري.

ثانيًا: أسست السنّة النبوية لمفهوم التسامح الفكري من خلال جملةٍ من الأحاديث الواردة في دواوينها ومظانها.

ثالثًا: كشف البحث عن التطبيق العملي لمفهوم التسامح الفكري في السنّة النبوية من خلال بعض الوقائع التاريخية التي أوردتها كتب السيرة النبوية.

رابعًا: تمثّلت الأمةُ قيمة التسامح الفكري في تعاملها مع الأفكار والاجتهادات والآراء من خلال التطبيقات العلمية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجتهديها من الفقهاء وغيرهم.

خامسًا: أبرزت الحضارة العربية والإسلامية قيم التسامح الفكري في مرحلة الأخذ والعطاء، وترجمة العلوم، خلال حقبة العصر الأموي، والعصور اللاحقة له.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو داود. سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني. (٢٠٠٩) السنن. بيروت: دار الرسالة الدولية.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (١٩٨٣)، المعجم الكبير (الطبعة الثانية)، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (١٤٤٢هـ) المسند الجامع الصحيح المختصر من شؤون رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه «صحيح البخاري» (الطبعة الأولى) دار طوق النجاة.
- ابن حجر. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ١٣٧٩هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١٩٩٨) المسند. (الطبعة الأولى) بيروت: عالم الكتب.
- مسلم. ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (١٩٥٥) المسند الصحيح والمختصر بنقل العدل من العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الذهبي . شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز. (٢٠٠٦) القاهرة: دار الحديث.
- البغدادي. أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (١٤٢١هـ)، الفقيه والمتفق عليه. (الطبعة الثانية).
- النووي. أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي. (١٩٩٦) تهذيب الأسماء واللغات (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الفكر.
- ابن كثير . أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. (١٣٩٢هـ) مختصر علوم الحديث. (الطبعة الثانية) لبنان. بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن مفلح عبد الله بن محمد المقدسي. (١٩٩٩) الفنون القانونية. (الطبعة الثالثة) بيروت: مؤسسة الرسالة.
- غوستاف لوبون (٢٠١٢) ترجمة عادل زعيتر. مصر. القاهرة: مؤسسة الهنداوي للنشر والثقافة.
- سارتون. جورج. (٢٠١١) مقدمة في تاريخ العلوم. الطبعة الأولى) الأردن. عمان. بيت الكنوز.
- الطبري. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب العاملي، أبو جعفر الطبري (١٣٨٧هـ) تاريخ الطبري. (الطبعة الثانية) بيروت: دار التراث.
- ابن عبد الحكم. عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن عين القرشي المصري. (١٩٩٦) فتوح مصر. (الطبعة الأولى) بيروت: دار الفكر.
- البلاذري. أحمد بن يحيى بن جابر. (١٩٨٨) فتوحات البلدان. القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي.
- فيسيا. لورا. (١٩٨١) الدفاع عن الإسلام. ترجمة منير بعلبكي. (الطبعة الخامسة) بيروت: دار المعرفة للملايين.
- النسائي. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي. (١٩٨٦) السنن. (الطبعة الثانية) حلب: مكتب النشرات الإسلامية.
- الترمذي. محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي. (١٩٧٥) السنن. (الطبعة الثانية) مصر. القاهرة: شركة مكتبة وطباعة مصطفى البابى الحلبى.
- البيهقي. أبو بكر أحمد بن الحسين. (٢٠٠٣) السنة الكبرى. (الطبعة الثالثة)، بيروت. دار الكتب العلمية .
- المنذري. عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري. (١٤١٧هـ) الترغيب والترهيب. (الطبعة الأولى) بيروت: دار الكتاب العلمي.

- الندوة العالمية للشباب. (١٩٩٢) قالوا عن الإسلام. (الطبعة الأولى) الرياض.
- القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. (١٩٦٤) جامع أحكام القرآن. (الطبعة الثانية) القاهرة: دار الكتاب المصرية.
- البخاري. محمد بن اسماعيل. (٢٠٠٣) الأدب المفرد. (الطبعة الأولى) مصر: مكتبة الخانجي.
- الطبري. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري. (٢٠٠٢) تفسير الطبري. (الطبعة الأولى) بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن هشام. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. (١٩٥٥) السيرة النبوية. (الطبعة الثانية) القاهرة: الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأبناؤه.
- ابن خلدون. عبدالرحمن. (١٩٨١) تاريخ ابن خلدون. (الطبعة الأولى). لبنان. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الحاكم. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. الصحيح. بيروت: دار المعرفة.
- صالح. ابن عبد الله بن حميد. نضارة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (الطبعة الرابعة) جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع.
- ابن منظور. محمد بن مكرم بن علي. (١٤١٤هـ) لسان العرب. (الطبعة الثالثة) بيروت: دار الصدر.
- الفيروزآبادي. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. (٢٠٠٥) القاموس المحيطي. (الطبعة الثامنة) لبنان. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن فارس. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي. (١٩٧٩) معجم المقاييس اللغوية. بيروت: دار الفكر.

- الجرجاني. علي بن محمد بن علي. (١٩٨٣) التعريفات. (الطبعة الأولى) لبنان. بيروت: دار الكتب العلمية.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي، (١٣٩٢هـ) شرح صحيح مسلم، (الطبعة الثانية)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع
١	ملخص البحث
٢	المقدمة
٣	التمهيد: مفهوم التسامح الفكري في اللغة والاصطلاح
٤	المبحث الأول: تأصيل التسامح الفكري في السنة النبوية المشرفة
٥	المبحث الثاني: نماذج من تطبيقات التسامح الفكري الرشيدة في حياة علماء الأمة وتراثها الحضاري
٦	خاتمة البحث
٧	قائمة المصادر والمراجع
٨	فهرس الموضوعات